

نيكولاس فان دام صاحب الكتاب الشهير عن سورية، والديبلوماسي دائماً؛

إذا استثنيت دمشق من السلام استحال السلام



نيكولاس فان دام سفير هولندا في القاهرة (٤٨ عاماً)، يعدّ واحداً من أبرز الخبراء الدوليين في دراسة سورية التي عاش وعمل فيها، ووضع عنها كتاباً بالغ الأهمية حمل عنوان «الصراع على السلطة في سورية» وغطى النزاعات البعثية - البعثية ما بين ١٩٦٣ و١٩٧٠.

وبالإضافة إليه أجرى دراسات ميدانية عن الشرق الأوسط (لبنان - سورية - الأردن - العراق ١٩٧٠ - ١٩٧٥)، وعمل في مناصب دبلوماسية عديدة في بيروت وطرابلس (الغرب)، كما عمل سفيراً لبلاده في بغداد ثم القاهرة بدءاً من ١٩٩١.

عمرو عبدالسميع التقاه في القاهرة، وكان هذا الحوار حيث جاءت اجاباته فان دام ديبلوماسي جداً:

● كيف تقيّمون الموقف السوري التفاوضي الآن، بعد الاتفاق الفلسطيني - الإسرائيلي؟
- في رأيي ان الموقف السوري لم يتأثر سلبياً الى درجة كبيرة بالاتفاق الإسرائيلي - الفلسطيني. على العكس، فتمكّن الفلسطينيون، على المدى الأبعد، من تحقيق نتائج ايجابية خلال مفاوضاتهم مع اسرائيل، يجعل من السهل على السوريين الوصول الى اتفاق ثنائي معها، لأنهم قد يشعرون انهم لم يعودوا مثقلين او

مقيدين باعتبارات التضامن والارتباط بالموقف الفلسطيني بالدرجة نفسها التي كانت عليها الأمور من قبل. الى ذلك فإن المفاوضات الفلسطينية - الإسرائيلية الحالية تعالج اساساً حلول المرحلة الانتقالية، في حين ان المفاوضات السورية - الإسرائيلية يفترض فيها ان تركز على تسوية نهائية محددة، وتلك مرحلة متقدمة.

● لو قلنا ان الموقف السوري تجاه العملية راجع الى ثلاثة عوامل رئيسية: دولية واقليمية ومحلية، فما هو في رأيك العامل الحاسم، ولماذا؟
- الموقف السوري تجاه عملية السلام يتحدد الى حد كبير بما تراه الحكومة السورية مصالح عربية استراتجية، وطنية واقليمية.

● الى أي مدى يمكن للقيادة السورية ان تعرقل مسيرة السلام اذا ما وصل مسار مفاوضاتها مع اسرائيل الى طريق مسدود؟
- في وسع سورية ان تعرقل المسيرة الى مدى محدود، لكن ليست لها في رأيي مصلحة حقيقية في ان تفعل ذلك. من ناحية أخرى فإن من مصلحة الاطراف التفاوضية الأخرى ان تأخذ في الاعتبار بقدر كاف المصالح السورية، لأنه على المدى الطويل سيكون من المهم جداً الا يتم ترك اي طرف في النزاع، فكيف حين يكون هذا الطرف رئيسياً كسورية.

● على افتراض ان سورية غير قادرة على عرقلة عملية السلام كلها، فهل يمكنها منع حدوث تقدم على المسار اللبناني - الإسرائيلي؟ وفي ظل أية ظروف يمكن لسورية ان تسمح بتقدم منفصل على المسار اللبناني - الإسرائيلي؟

- ان سورية، بوجودها في لبنان، يبدو ان لديها وسائل مختلفة تمنع حدوث تقدم ملموس في المسار اللبناني - الإسرائيلي، ويبدو واضحاً ان سورية لا تريد السماح باي تقدم منفصل على هذا المسار، الا اذا كان لمثل هذا التقدم انعكاسات ايجابية على المسار السوري - الإسرائيلي، ولا يؤثر سلباً على المصالح الاستراتيجية الإقليمية. بالنسبة لسورية، على ما يبدو، فإن المسارين مرتبطان دائماً ولن يمكن الفصل بينهما.

● هل ترى انه من الممكن بناء شرق اوسط جديد باستبعاد سورية والعراق وايران في الوقت نفسه؟ وهل من المتوقع ان تحدث مصالحة سورية - عراقية في هذه الحالة؟ ولو كان ذلك ممكناً هل يؤدي ذلك الى تحالف ثلاثي مناهض للسلام؟ وأخيراً في هذا السيناريو هل يمكن لسورية ان تخشى من عواقب بقائها خارج عملية السلام وترتيبات السلام الجديدة في المنطقة؟

- ان الجهود المبذولة لبناء شرق اوسط جديد مستقر مع استبعاد سورية والعراق وايران في الوقت نفسه، يبدو محكوماً عليها بالفشل، والواقع ان الاستبعاد الحالي للعراق، احدى القوى المحتملة اقليمياً، قد ادى الى موقف غير طبعي محتوم عليه ان يخضع للتغيير او التعديل بشكل او آخر. اما استبعاد سورية والعراق وايران معاً ف يبدو انه يقدم توقعات أسوأ. الجهود المبذولة لبناء شرق اوسط جديد مستقر قد يكون من الأفضل لها ان تضم كل القوى العظمى الموجودة في المنطقة، بما في ذلك سورية والعراق، ولا يبدو ان لدى سورية اية مصلحة في صياغة تحالف مناهض للسلام. بل

على العكس، فانه من مصلحتها ان يحل السلام في المنطقة، وفي رأيي ان قيادتها تبذل بوضوح جهوداً صادقة لاقامة مثل هذا السلام.

● ما هي أقصى التنازلات التي تظن ان سورية يمكن ان تقدمها لتحصل على اتفاق مع اسرائيل؟ هل تستطيع قبول التخلي عن جزء معين من مرتفعات الجولان؟ واذا قبلت اسرائيل الانسحاب الكامل من الجولان فهل في وسع سورية ان تقبل نزع سلاح منطقة معينة في الطريق بين الجولان ودمشق؟ وكبدل، هل تستطيع سورية قبول تخفيض في حجم قواتها المسلحة؟

- في رأيي انه سيكون غير مقبول سورياً التخلي عن اي جزء من التراب الوطني. والسلام الإسرائيلي - السوري يمكن له ان يستمر وبحيا على المدى الطويل فقط اذا انسحبت اسرائيل من كل الاراضي السورية. يجب التوصل الى ترتيبات ثنائية بشأن الاجراءات الامنية، وفور قيام السلام، فإن معنى القوات المسلحة على الجانبين يمكن ان يكتسب بالضرورة معاني وابعاداً مختلفة كلياً.

● هل تظن ان الشعب السوري مستعد لعلاقات سلمية مع اسرائيل؟ هل يمكن للمؤسسة العسكرية السورية ان تقبل تنازلات في الجولان؟
- اعتقد ان الشعب السوري متشوق للحصول على السلام، طبعاً اذا كان هذا السلام مبنياً على تسوية عادلة. انا لا اتوقع ان المؤسسة العسكرية السورية، او السوريين عموماً، راغبون في اية تسوية قد تطوي على انتهاك لسيادة اراضي سورية، بما في ذلك السيادة على الجولان.



● ما هو التأثير الذي قد يحدثه السلام على الموقف الداخلي في سورية؟ هل تتوقع حدوث تفاعلات اجتماعية وسياسية؟ وما التأثير الذي قد يحدثه على العلاقات الهشة بين «الأسدين» حافظ ورفعتا؟
- السلام قد يؤثر بقوة على الوضع الداخلي بطريقة ايجابية، سواء من الناحية السياسية او الاقتصادية. ومن شأنه ان يخلق مجموعة واسعة من الفرص الجديدة التي لم تكن موجودة قبلاً.
● هل تعتقد ان السلام يمكن ان يؤدي الى نوع من الليبرالية السياسية والاقتصادية؟ واذا كان الجواب بالنفي فهل تتوقع ظهور ضغوط سياسية جديدة على النظام، وما نوعها؟
- ان احد اهم الموضوعات المستقبلية هو كيفية دفع تطوير سورية اقتصادياً، مع كل العواقب الممكنة لاعادة ترتيب هياكل القوة الاقتصادية والسياسية.